الصامدون

[لقد كنت تحمل رمادك في ذلك الحين الى الجبل،
فهل تحمل الآن تاركَ الى الوادي ؟ ..]

من لوعة الاحزان ، من سأم الليالي الخاويات
من وحدتي المخمومة الدكناء ، من ليلي المرير
عيناي مطبقتان في نهم على كون مضاء

. . . . . .

كوخي المجصص ، والدجى ، والسامرون
ولهيب مدفأتي القديمة ، حيث تحتضن الظلال
اضواءَها المتبعثرات
وكأذرع الموتى ، هناك ، تعوم في الافق البعيد
بعض السنابل ، بعض دُفلى ، بعض غابات النخيل
ونساؤنا الثكلى ، ووحشتنا ، وجارتنا العجوز
— بالأمس سيق وليدها الواعي الى ليل السجون —
معروقة عمياء ، تطرد بالتعاويذ الهموم
وعويل جائعة يمزق هدأة الصمت العميق
ابداً ولا وجه يعبر عن حبور
لا بسمة تشدو ، ولا وجه يعبر عن حبور
والموت والاقطاع يفترسان اعشاب القطيع
وبلا ربيع
ستظل ايام الكسالى الخانعين بلا ربيع
والليل ، والحمى ، وحراس الحقول من اللصوص
— ككلاب فريتنا الهزيلة — من طوىً متوحشون
والخوف ، والارض الحزينة ، حيث اشداق الخريف
عبر الفصول الغبر تزدرد المروج
ولقد مللت مدينة الاوغاد حيث الجائرون بلا ضمير
وبلا دم وبلا قلوب
وبلوت ألوان المصائب ، واغترفت شذى الحنان
من قلب طائشةٍ ، اراقت عبرة اللحن الاخير :
« قد مات حبي ، جف ينبوع الرؤى واحسرتاه »
وتلوتُ انجيل الحياة الرث في نهمٍ شديد
وخرجت باللاشيء ، إلا من اغاريدٍ حِرار
« يا اخوتي الرفقاء ، ما زالت اباطيل القرون
تستعبد التاريخ . دكوا صخرة الماضي الأثيم
لا بد من شيء جديد »
وسئمت آفاق المدائن حيث تنتصب البروج
وعلى اعاليها يرفرف بيرق الخزي الشنيع
والليل والغرباء — مصاصو رحيق حياتنا —
والساقطون فرائس الزمن المريض
التافهون الماسخون
بعض الشعارات النبيلة من اغاني الصامدين :
« أواه دعهم ، يا رفيق الدرب ، دعهم ، يهزأون
بهمومنا المترنمات
بدموعنا المتحدرات
بسجوننا ، بقيودنا المتحجرات
أواه ، دعهم ، إنه الطوفان يكتسح السموم
والعار من ارض العبيد . »
... وغمرت قلبي بالرماد
ودفنت احلامي الوضيئات العذارى والورود
وثكلتهن بلا دموع
وجنحت في آلامي المتوقدات
من نقمة الموتى ، ومن احقاد مجتمعٍ هزيل
وعدوت ، لا كانت رؤى الماضي البليد
والريح تطرق باب احلامي ترن وتستعيد :
« اخر بزورقك العباب
ابداً عذارى اليم تؤنس وحشة الأفق السحيق . »
وعدوت لا كانت رؤى الماضي البليد
وهرعت للكون المضاء
وعلى مدينتهم بصقت ، ادق باب المستحيل
عبر الممرات الوعيرة ، والدماء
من جرح اقدامي تسيل
والشوك ، والدرب الطويل ، وامنياني المطفآت
وصدى صلاة
عذراء تصعد للنجوم
أمشي ، واسأل وحشتي الدكناء عن نجم بعيد
زاه ، ينام وراء امواج الرمال .
والصمت ، والاشباح ، والقلق المبيد
وحش يطاردني الى صحراء قاحلة السهوب
مجهولة الابعاد ، تسبحُ في بحارٍ من جليد
حتى لمحت ، على طريق الشمس ، قافلة ونار
من حولها رفقائي الاحرار في احساسهم
يتدفأون .

بغداد

كاظم جواد